139712 KQ ٤٨٣

دولة الإمارات العربية المتحدة
حكومة دبي

سلسلة
الدراسات الأصولية
(١٠)

المصالح المرسلة

وأثرها في مرونة الفقه الإسلامي

تأليف
الدكتور محمد أحمد بوركاب

دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

الإمارات العربية المتحدة - دبي - هاتف: ٣٤٥٦٨٠٨، فاكس: ٣٤٥٣٢٩٩، ص.ب: ٢٥١٧١
الموقع www.bhothdxb.org.ae البريد الإلكتروني irhdubai@bhothdxb.org.ae

أصل هذا الكتاب بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية - بيروت - لبنان في سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

إهـــداء

إلى كل من له فضل عليّ

والدي وشيوخي

وزوجتي

ومن قدم إليَّ يد العون من المسلمين

أهدي هذا العمل المتواضـع

راجياً من الله تعالى أن يتقبله مني وينفع به المسلمين

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

صدق الله العظيم

[هود : ٨٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

* الافتتاحية *

نستفتح بالذي هو خير ، حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عباده الذين اصطفى .

وبعـد :

فيسر دار البحوث أن تقدم للباحثين والقراء هذا الكتاب « **المصالح المرسلة وأثرها في مرونة الفقه الإسلامي** » في سلسلة « **الدراسات الأصولية** » ، والذي يتضح فيه جلياً مفهوم المصالح المرسلة ، والتأصيل لحجيتها واعتبارها عند جمهور الأصوليين ، وأثر الأخذ بها في معالجة كثير من النوازل والقضايا قديماً وحديثاً ، وبيان ثراء شريعة الإسلام وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

وهذا التقديم مقرون بالشكر والعرفان لأسرة « **آل مكتوم** » حفظها الله ، التي ترعى العلم ، وتشيد نهضته ، وتحيي تراثه ، وتؤازر قضايا العروبة والإسلام ، وعلى رأسها **صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد بن سعيد آل مكتوم ، نائب رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء ، حاكم دبي** الذي أنشأ هذه الدار لتكون منار خير ، ومنبر حق على درب العلم والمعرفة ، تجدد ما اندثر من تراث هذه الأمة ، وتبرز محاسن الإسلام ، فيما سطره الأوائل ، وفيما يمتد من ثماره ، مما تجود به القرائح ، في شتى مجالات البحوث الإسلامية ، والدراسات الجادة ، التي تعالج قضايا العصر ، وتؤصل أسس المعرفة ، على مفاهيم الإسلام السمحة

عقيدة وشريعة ، وآداباً وأخلاقاً ، ومناهجَ حياة ، مستلهمة الأدب القرآني ، في الدعوة إلى الله على بصيرة ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

وكذلك مؤازرة **سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم نائب حاكم دبي وزير المالية والصناعة ، والفريق أول سمو الشيخ محمد ابن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي وزير الدفاع** .

سائلين الله العون والسداد ، والهداية والتوفيق .

ولا يفوت الدار أن تشكر من أسهم في خدمة هذا العمل العلمي ، من العاملين بالدار :

١ - مساعد باحث : السيد / **محمد سعد خلف الله الشحيمي** ، الذي قام بالتدقيق وتصحيح تجارب تنضيد الكتاب .

٢ - فني الكمبيوتر : السيد / **محيي الدين حسين يوسف** ، الذي قام بالتنضيد والإخراج الفني للكتاب .

٣ - فني الكمبيوتر : السيد/ **إيهاب حسني عكيلة** ، الذي شارك في التنضيد والإخراج الفني للكتاب .

ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعين على السير في هذا الدرب ، وأن يتواصل هذا العطاء من حسن إلى أحسن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دار البحوث

مقدمـــة

الحمد لله الذي جعل عند كل أمر من أوامره مصلحة آجلة أو عاجلة ترغب عباده في امتثال أمره ، وجعل عند كل نهي من نواهيه مفسدة تنفرهم من الوقوع في غضبه وسخطه ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد صلاةً وسلاماً تامين متلازمين إلى يوم الدِّين ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدِّين .

وبعد ، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون رسالة سيدنا محمد ﷺ خاتمة الشرائع ، الأمر الذي أهلها أن تكون عالمية للناس كافة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، زماناً ومكاناً ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] ، وقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

ولما كان الأمر كذلك ، وكانت نصوصها متناهية ، والحوادث غير متناهية ، اقتضت حكمة الله تعالى أن خصتها بمواصفات جعلتها صالحة لكل زمان ومكان ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، وقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] .

فخصَّها سبحانه وتعالى بجملة من الصفات والمميِّزات لعل من أهمها ، المرونة والليونة ، بأن جعل نصوصها قسمين ؛ خاصة ، وعامة .

فأمَّا الخاصة ، فجعل ألفاظها على درجات في الخفاء والوضوح ،

لتكون محل اجتهاد عند العلماء ، فتتسع الدائرة لمعالجة أكبر قدر من المسائل والحوادث زماناً ومكاناً ، ويتحقق التيسير ويرتفع الحرج .

وأمَّا النصوص العامة ، وأقصد بها القواعد الكلية التي أخذت من استقراء مجموع النصوص ، فإنَّها تعالج ما بقي من الحوادث والمستجدات التي لم تشملها النصوص الخاصة .

ثم أوكل سبحانه وتعالى طريقة الاستفادة من هذه القواعد الكلية إلى العلماء ، واضعين نصب أعينهم حديث رسول الله ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر »[1] .

فكانت المصالح المرسلة ، أو الاستصلاح ، من أهم طرق إظهار هذه المرونة في الشريعة الإسلامية ، التي يحتاج إليها الناس لمعالجة ما يجد في حياتهم في كل زمان ومكان ، لا سيما عصرنا الحديث الذي يزخر بالمعاملات التي لم تكن في أسلافنا ، ولم يرد فيها نص خاص بالاعتبار أو الإلغاء ، سواء تعلقت تلك المعاملات بنظام الحكم والسياسة ، أو الاقتصاد والتجارة ، أو غير ذلك من أشكال المعاملات المعروفة اليوم .

فما حكم هذه المعاملات ؟ وما هو موقف الشريعة منها ؟

هذا ما تبحثه قاعدة الاستصلاح أو المصالح المرسلة كمصدر من مصادر التشريع .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : الاعتصام، ٢١- باب: أجر الحكام، رقم ٩٦١٩ ج٦ ص ٢٦٧٦ ، ومسلم في صحيحه : الأقضية، ٦- باب: بيان أجر الحاكم، رقم ٩٧١٦ ج٣ ص ١٣٤٢ .

فما كان ملائماً لمقصود الشارع وما تفرع عنه من قواعد كلية ، أقرته ودعت إليه ، وما كان مخالفاً ، ألغته وحذرت من شره ومفاسده .

وفي هذا المجال يقول سلطان العلماء عز الدين بن عبد السَّلام[1] رحمه الله تعالى : « ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد ، حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها ، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها ، وإن لم يكن فيها إجماع ، ولا نص ، ولا قياس خاص ، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك »[2] .

ويقول الإمام الشافعي[3] رحمه الله : « إن الوقائع الجزئية لا حصر لها، والأصول الجزئية التي تقتبس منها المعاني والعلل محصورة متناهية، والمتناهي لا يفي بغير المتناهي، فلابد إذاً من طريق آخر يتوصل بها إلى

---

(١) هو : الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السّلمي المغربي أصلاً ، المصري داراً ووفاة، لقبه الشيخ ابن دقيق العيد « سلطان العلماء »، ولد سنة ٥٧٨ هـ، قرأ الفقه على فخر الدين بن عساكر ، والأصول على الآمدي ، واستقر أمره في الأخير على التدريس بالصالحية بمصر ، توفي سنة ٦٦٠ هـ[طبقات الشافعية : الإسنوي ، ج١ ص٨٤] .

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ابن عبد السلام، ص ٦٤٠ .

(٣) هو : الإمام المجتهد ناصر السنة محمد بن إدريس بن العباس الشافعي ، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ ، درس على الإمام مالك وأخذ عنه الموطأ ، وذهب إلى بغداد ثم مصر ودرّس بها إلى أن توفي سنة ٢٠٤ هـ ، من آثاره : الرسالة ، والأم ، والمسند ، واختلاف الحديث . [وفيات الأعيان : ج١ ص٥٦٥- ٥٦٨ ، تذكرة الحفاظ : ج١ ص٣٢٩] .